النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١ / ٢٠٠١

الأحد ٧ كانون الثاني

الأحد الذي بعد الظهور الإلهي

تذكار جامع للقديس المجيد

النبي السابق يوحنا المعمدان

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

الـــرســـالـــة (أعمال ١٩ : ١ ٨)

الإنـــجـــيـــل (يوحنا ١ : ٢٩-٣٤)

+ في الإيمان والمعمودية

«ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية. فإن المعمودية دليل علـــى موت الرب، ونحن ندفن مع الرب في المعمودية، كما يقول الرسول الإلـــهي (كولوســي ٢: ١٢). فكما أن موت الرب قد تم مرة واحدة، يجب أن تصير المعمودية كذلك مـــرة واحـــدة، معتمدين على حسب كلام الرب، باسم الآب والإبن والروح القدس (متـــى ٢٨: ١٩)، فنتعلّـــم الاعتراف بالآب والإبن والروح القدس. وعليه، إن كل الذين اعتمدوا بالآب والإبن والـــروح القدس فصاروا عارفين طبيعة اللاهوت الواحدة في ثلاثة أقانيم، إذا ما اصطبغوا ثانية، فـــهم

يجدّدون صلب المسيح. منا يقول الرسول الإلهي: «إن الذين قد أنبروا مرة... ثم سقطوا، فلا يمكنهم أن يتجدّدوا ثانية للتوبة، صالبين لأنفسهم المسيح ثانية ومشهّرين إيّاه» (عبر٦: ٤-٦). أمّا الذين لم يعتمدوا في الثالوث الأقدس، فينبغي لهؤلاء أن يعتمدوا ثانية، لأنه ولو قال الرسوا الإلهي أيضًا: «بأننا قد اصطبغنا في المسيح وفي موته» (رو ٦: ٣)، فهو لا يقول بأنه يجب أن يكون استدعاءُ المعمودية على هذا المنوال، بل إن المعمودية إنما هي رمز لموت المسيح، لأن المعمودية ــ بواسطة التغطيسات الثلاث ــ تعني الأيام الثلاثة لدفن المسيح. إذًا فإن المعمودية بالمسيح تعني معمودية المؤمنين به، ولا يمكننا الإيمان بالمسيح دون أن نتعلّم الإعتراف بالآب والإبن والروح القدس، لأن المسيح هو «ابن الله الحي» (متى ١٦:١٦)، وقد مسحه الآب بالروح القدس (أعمال ١٠: ٣٨)، كما يقول داود الإلهي: «لذلك مسحك الله إلهك بدهن البهجة أفضل من شركائك» (مز٤٤:٨). وقد قال أشعيا ممثلاً الرب: «إن روح السيّد الرب عليّ. لأجل هذا مسحني» (أشعيا ٦١: ١). وقد علم الرب تلاميذه الأخصاء هذا الإستدعاء قائلاً: «معمّدين إياهم باسم الآب والإبن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩). ولما كان الله قد صنعنا في عدم الفساد، وكنا نحن قد تجاوزنا وصيته الخلاصية وحكم علينا بفساد الموت، فلكي لا يستمر الشر قائمًا، انعطف هو نحو عبيده ــ وهو الرحيم ــ وصار على مثالنا، فأنقذنا من الفساد بآلامه الخاصة وأفاض علينا من جنبه الأقدس والطاهر ينبوع الغفران، ماءً لإعادة الولادة ورحض الخطيئة والفساد، ودمًا، مشروبًا صالحًا للحياة الأبدية. وأعطانا وصايا لنتجدّد بالماء والروح، بواسطة الصلاة والاستدعاء، بحلول الروح القدس على الماء. ولما كان الإنسان مزدوجًا، من نفس وجسد، فقد أعطانا تنقية مزدوجة، بالماء والروح. فبالروح يجدّد فينا ما كان على صورة الله وعلى مثاله، أما بالماء فينقي فينا الجسد من الخطيئة بنعمة الروح القدس، ويحرّره من الفساد. إن الماء يحقق فينا صورة الموت والروح يمنحنا عربون الحياة. إنه منذ البدء «كان روح الله يرف على وجه المياه» (تك ١: ٢). ومنذئذٍ أخذ الكتاب يشهد للماء بالتطهير. ففي أيام نوح غرق الله خطيئة العالم بالماء (تك٦: ١٧)، «وكل نجس على مقتضى الشريعة، يطهر بالماء» (أح ١٥: ١٠)، حتى الثياب نفسها إذا ما غسلت فبالماء. وقد «أظهر إيليا نعمة الروح ممزوجة بالماء لما أحرق الضحية بالملء» (راجع٣مل ١٨: ٣٤). وكل شيء تقريبًا يطهر بالماء بموجب الشريعة، لأن المنظورات رموز للمعقولات. وتجديد الولادة يصير في النفس، والإيمان من شأنه أن يجعل صاحبه ــ بفعل الروح ــ ابنًا لله بالوضع، رغم أننا خلائق، فيقودنا إلى السعادة القديمة.

إذًا فبالمعمودية يمنح غفران الخطايا للجميع بالتساوي. أما النعمة فتكون على قدر إيمان المعتمد وقابليته للتنقية. إذًا فإننا ننال الآن بالمعمودية باكورة الروح القدس، فتصير لنا إعادة الولادة بدء حياة أخرى وختمًا لها وضمانًا وإنارة.

وعلينا أن نثبت بكل قوتنا في حفظ ذواتنا أنقياء من الأعمال الدنسة، ولا نعود إليها ثانية «كما الكلب إلى قيئه» (٢بط ٢: ٢٢). فنجعل ذواتنا من جديد عبيدًا للخطيئة، لأن الإيمان بدون أعمال ميت، وكذلك الأعمال بدون إيمان، لأن الإيمان الصادق يُختبر بالأعمال. ونحن نعتمد في الثالوث الأقدس لأن المعتمدين في حاجة إلى الثالوث الأقدس لقيامهم وثباتهم. وإنه لا يمكن عزل الأقانيم الثلاثة بعضهم عن بعض، لأن الثالوث الأقدس غير منفصل.

القديس يوحنا الدمشقي

+ قداس رأس السنة

صباح الإثنين الأول من كانون الثاني ٢٠٠١، ولمناسبة ذكرى ختانة ربنا يسوع المسيح بالجسد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة، ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت بحضور حشد من المؤمنين. بعد قراءة النص الإنجيلي ألقى سيادته العظة التالية:

«باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يعطينا الطفل الإلهي يسوع درسًا مفاده أن نحافظ على الأولويات في حياتنا. لقد قيل لمريم إن المولود منك هو ابن الله، ابن العلي: «ها أنت تحبلين وتلدين ابنًا وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيمًا وابن العلي يُدعى» (لو ١: ٣١-٣٢)، لكنها كانت في دهش وهي العذراء فكيف ستلد ابنًا يبشر به من السماء بملاك يقف أمامها معلنًا لها البشرى؟

قرأنا في إنجيل اليوم أن يوسف ومريم ذهبا مع يسوع ــ وكان في الثانية عشرة من عمره ــ إلى أورشليم كعادة اليهود كل سنة في عيد الفصح، وفي طريق العودة ظنًا أن يسوع بين الجمع العائد ولم يخطر لهما أنه لم يعد. بعد مسيرة يوم مضنية طلبت الأم ابنها فلم تجده بين الرفقة فرجعت ويوسف يفتشان الطريق وأورشليم ولم يجداه، ولم يخطر ببالهما أن الطفل موجود في الهيكل. كم من الأطفال يعلمون الكبار الصلاة ببراءتهم، بصدقهم، وبمحبتهم التي لا رياء فيها.

وجدا يسوع في الهيكل جالسًا مع معلمي الشريعة يسمعهم ويسألهم ويجيبهم إذا سألوه. قالت له أمه «يا ابني، لم صنعت بنا هكذا، ها إننا أنا وأباك كنا نطلبك متوجعين» (لو ٢: ٤٨). أجابها: «لماذا تطلباننني؟ ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون فيما لأبي؟.

لقد فهم يسوع ألم الأم وألم الأب، لكنه، وهو القائل من أحب أبًا أو أمًا أو امرأة أو أي شيء أكثر مني فلا يستحقني (متى ١٠: ٣٧)، قد تصرف على هذا الأساس. لقد عرف أصله، عرف أنه ينتمي إلى الله، وهو الله المتجسد. عرف أن عليه أن يبقى مع الله في كل حين ولو أتى أرضًا ليخلص الناس. أراد أن يُظهر لنا أن العلاقة الأساسية التي يجب أن نحافظ عليها هي العلاقة مع الله، هي الأساس، هي الأولى، هي الأهم. العلاقة مع الوالدين مهمة لأنه رجع معهما «وكان خاضعًا لهما»، لكن الطاعة الحقيقية المملوءة محبة هي التي تأتي من الله. إذا لم تتدرب في مدرسة الله فإن حبك وكلامك الطيب كله رياء. إذا لم تكن من تلاميذ الرب ولم تتذوق عشرة الله وكلامه، إذا كنت لا تحب الله فكل محبة أخرى هي محبة كاذبة، محبة مصلحة شخصية. «من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني» (متى ١٠: ٣٧-٣٨) ولا يستحق أن يدعي تلميذًا لي. ومحبتي للمسيح تتجلى في أن أجعل حياتي مرآة لحياته وانعكاسًا لها. الإنسان المؤمن، المسيحي الحق، هو من يعمل كل شيء ليرضي الله. المسيحي إنسان لا يرتاح حتى يرضي الله. ضميره معذب، قلبه متألم حتى يستقر في حبه الصادق لله. لا يستطيع الإنسان أن يقول أنا موجود، أنا مفيد، أنا مثمر، أنا أحب، أهتم، أعتني، أعاون، أخدم... إذا كان لا يستقي قوته من الله، من إيمان حقيقي بأن الله مصدره ودعمه وسنده. لكنه لا يستطيع أن يرضي الله بدون إيمان لأن على من يأتي إلى الله أن يؤمن بأن الله موجود وأنه يكافئ الذين يطلبونه: «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عب١١: ٦).

لا يمكن إرضاء الله بدون إيمان. فلو أعطيت مالك كله للفقراء ولو قدمت جسدك للنيران وليست فيك محبة المسيح «فقد صرت نحاسًا يطن وصنجًا يرن» (١كور ١٣: ٣). لا يمكن إرضاء الله إلا بالإيمان بأنه موجود وبأنه يحاورنا ويجازينا بحضوره معنا. فإن أحببت أي شيء أو أي إنسان أكثر من الله فأنت لا تخص الله. قال يسوع لأمه لماذا تطلبانني؟ أنا أخص الله. أنا أعمل عمل الله وكل ما أقوم به هو لمجد الله. بيتي حيث يوجد الله. والله في كل قلب وفي كل وجه وفي كل مكان، لكن «إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأة وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضًا، فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا» (لو ١٤: ٢٦)، أي إذا كان أبوك أو أمك أو أي شخص عثرة في طريقك إلى المسيح أبعدهم لأنهم يعملون للشيطان، مهما كانت محبتهم لك وعاطفتهم تجاهك. العواطف سجن لك إن لم تكن دافعة إيلك نحو المسيح، وقد تجسد الله كي يحررنا فلا تدعوا أحدًا يبعدكم عن المسيح. ألم يقل يسوع

لبطرس «اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للنـــاس» (متـــى ١٦: ٢٣).

المسيحي إنسان يتمثل بالقديسين الذين ضحوا من أجل المســيح، حرقـوا، نشـروا، عذبوا، ماتوا بحد السيف... (عب ١١: ٣٥-٣٧). حتى الموت لم يقف حاجزًا بينهم وبين الله. عندما حاول تلاميذ القديس إغناطيوس الإنطاكي إقناعه بعدم تعريض نفسه للموت في ســبيل المسيح أجابهم أريد أن أكون طحينًا بين أفواه الأسود لأصبح قربانًا لله مقبولاً. أيها الإنسـان، كم من الأشياء التافهة، لا الموت، تبعدك عن المسيح! تراوغ، تكذب، ترائي، تمثل، تفعل ما لا يفعل... أنت لا يُطلب منك أن تموت. المطلوب فقط أن تكـون أمينًـا لله صادقًـا، محبًـا، متواضعًا، لكنك تقوم بما يؤاتي نفسك لا المسيح. المسيحي يسمع أولاً صوت الرب ثم صـوت كل آخر محب. المصدر الحقيقي لقوله، لفكره، لعمله، هو الله.

الإنسان مجرب في مثل هذه الأيام بأمور شتى، وكأن الانتقال من سنة ماضيـة إلـى سنة آتية يستوجب كل هذه النزوات التي تبعدنا عن التأمل في مشيئة الله لنا للسـنة القادمـة: السهر، السكر، لعب القمار، قراءة الحظ والأبراج وغيرها من الأمور التي يعرفها أبناء هـذا الدهر. لمثل هؤلاء قال بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية: «أفأستعطف الآن النـاس أم الله؟ أم أطلب أن أرضي الناس؟ فلو كنتُ بعدُ أرضي الناس لم أكن عبـدًا للمسـيح» (١: ١٠). لا مجال للمساومة إذًا. من أراد إرضاء البشر عوض أن يرضي الله ليس عبدًا للمسيح، ومن لا يقول كلمة الحق إرضاءً للبشر ليس تلميذًا للمسيح. المؤمن بالمسيح نوره كلمـة الله، وهو مقتنع بأنها تنير عقول الناس، وهو يفضل أن يكون مجنونًا بالمسيح على أن يكون عاقلاً في أعين البشر، أو أن يبيع نفسه من أجل مجد أرضي ومن أجل أن ينادوه يا سيّد ويا معلّـم. مثل هذا الإنسان يفتش عن مجده وعن مصلحته، وقد يكون أمينًا لك لأنه بحاجة إليك، لكنـه يميل عنك متى رأى مصلحته عند آخر، وهذا ومن كان مثله يسيئون إلى البشر وإلى البلد.

بطرس ويوحنا كانا يخاطبان الشعب فانزعج منهما الكتبة والشيوخ وطلبوا منـهما أن لا ينطقا باسم يسوع فأجاب بطرس ويوحنا «إن كان حقًا أمام الله أن نسمع لكم أكثر مـن الله فاحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلّم بما رأينا وسمعنا» (أع٤: ١٩-٢٠) أي لا يمكننا أن نتجاهل ما سمعناه من المسيح وما رأيناه وما عشناه وما أسبغ اللهُ علينا مـن نِعـم وعطايـا. ويقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل تسالونيكي: «بل كما استُحسنا مـن الله أن نؤتمـن على الإنجيل، هكذا نتكلّم، لا كأننا نرضي الناس بـل الله الـذي يختـبر قلوبنـا» (٢: ٤). المؤمنون، وأنا أولهم كوني مسؤولاً، مؤتمنون على الإنجيل، رسالتنا أن نتكلم كـلام الله فـي

وقت مناسب وغير مناسب كما قال بولس الرسول لتيموثاوس (٢تيمو ٤:٢)، لأنه ليس وقتٌ غير ملائم لكلام الله.

المطلوب أن نكون صادقين، مخلصين لما نؤمن به. لذلك حتى الإنسان الصادق في إلحاده ليس بعيدًا عن القداسة لأن الله يكافئه على صدقه. يقول أحد القديسين مهما تعثرت في طريق جهادك الصادق سوف تصل في النهاية لأن الله لا يترك أحباءه. المهم أن تكون أمينًا، مخلصًا، مدافعًا عما تؤمن به بصدق.

دعائي في بدء هذه السنة أن تكون مباركة، ولا شيء مبارك إلا بحضور الله فيه. أسأل الله أن يباركك بحضوره في قلوبكم وفي بيوتكم، وأرجو أن لا تهملوه في ركن من أركان بيوتكم بل أن تنظروا إليه كما تنظرون إلى شيخ جليل جدًا يتمتع بخبرة طويلة في الأمور. أرجو أن لا يكون تعبًا من الإهمال في بيوتكم وأن لا يكون منسيًا في قلوبكم. صلاتي أن يرتاح الله مجدداً في لبنان وذلك بمحبتنا كل واحد منا للآخر، ولا أريد أن أخوض هنا في موضوع الطائفية لأن انتماء كل منا لعائلة لا يجعلنا أعداء وإلا علينا أن نلغي العائلات. لبنان مؤلف من جماعات وعائلات ومدن وقرى يجب أن تربكها المحبة والاحترام. ما نحتاج إليه هو أن يتجه واحدنا نحو الآخر بمحبة وأن ننظر جميعًا إلى غايتنا الواحدة: محبتنا لوطننا وإخلاصنا له.

في هذا اليوم المبارك دعائي لكم أن ترتبطوا بالأولى، ثم تهتمون بما يأتي في المرتبة الثانية والمراتب الأخرى، والأولى هو الله الذي يجب أن يحتل المرتبة الأولى في حياتنا. وإذا كنتُ مع الله أولاً فأنا شريف مع كل ثانٍ وثالث... أما إذا لم أكن شريفًا وصادقًا في علاقتي بالله فلا يمكن أن أكون شريفًا وصادقًا في علاقتي مع البشر. جعلكم الرب تحملون شرفه على الدوام. آمين.

+ من أقوال المعلم إفاغريوس البنطي

+ ملكوت السموات هو لا هوى النفس مع معرفة حقة للكائنات.

+ ما يعشقه المرء يتوق إليه، وما يتوق إليه يجاهد كي يناله، فكل لذة تبدأ بشهوة، أما الشهوة فيلدها الحس، لأن ما لا يشترك في الحس حر من الهوى.

+ المتوحدون تحاربهم الشياطين من دون أسلحة، أما الذين يعملون الفضيلة في الشركات والجماعات الرهبنية فتسلح الشياطين ضدهم أكثر الإخوة إهمالاً. والحرب الثانية أخف من الأولى، إذ من غير الممكن إيجاد بشر على الأرض أكثر مرارة من الشياطين، أو مقتبلين شرهم في كليته مرة واحدة.

+ ثمانية هي الأفكار العامة كلها التي تحوي كل فكر: فالأول الشراهة، ويليه الفسق، والثالث محبة الفضة، والرابع الحزن، والخامس الحنق، والسادس الضجر، والسابع المجد الباطل، والثامن الكبرياء. أن تزعج هذه كلها النفس أو لا تزعجها مسألة تقع ضمن ما لا يرتبط بنا. أما أن تدوم هذه الأفكار أو لا تدوم، أو أن تحرك الأهواء أو لا تحركها فهذا واقع ضمن ما يرتبط بنا.

+ إن فكر الشراهة يوحي للراهب فشلاً سريعًا في نسكه، فيصور له المعدة والكبد والطحال وداء الإستسقاء ومرضًا طويلاً وندرة للضرتريات وغياب الأطباء. وكثيرًا ما يذكره ببعض الإخوة الذين سقطوا في هذه الأهواء. ويقنع أحيانًا أولئك المتألمين بالاقتراب من الممسكين وسرد بلاياهم لهم وصيرورتهم على هذه الحال بسبب النسك.

+ إن شيطان الفسق يضطر المرء إلى اشتهاء أجساد عدة. فيتصدى للممسكين على نحو أعنف ليكفوا عن الإمساك، معتقدين أنهم ما حققوا شيئًا. وهو يلوث النفس، دافعًا إياها إلى تلك الأعمال الملتوية، وجاعلاً إياها تقول وتسمع كلمات ما، كما لو أن الشيء مرئي وحاضر.

+ إن محبة الفضة توحي شيخوخة طويلة، وضعف اليدين خلال العمل، ومجاعات ستقع، وأمراضًا ستحدث، ومرارات الفقر، وكم ان حصول المرء على ما يحتاجه من الآخرين مخجل.

+ يقع الحزن تارةً من جراء الحرمان من تحقيق الشهوات، ويلي الحنق طوراً. ففي حال الحرمان من تحقيق الشهوات يحدث هكذا: إن بعض الأفكار تتقدم مذكرة النفس بالبيت والأهل والسيرة السابقة. وعندما ترى الأفكار أن هذه النفس لا تقاوم، بل تنساق إليها، مشتتة في اللذات الذهنية، تستولي عليها مغرقة إياها في الحزن، لكون الأشياء السابقة غير موجودة وليست قادرة بعد على أن تكون في العمر الحاضر. أما النفس الشقية فتتقبض ذليلة بالأفكار الثانية بقدر ما تتشتت بالأفكار الأولى.